العرب
الإثنين 2020/08/24
السنة 43 العدد 11799

الكاظمي في حقل الألغام العراقي

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

في سياق البحث عن قواعد ثابتة تساعد في بناء علاقة مستقبلية ذات طابع صحّي بين البلدين، زار رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي واشنطن والتقى الرئيس دونالد ترامب وكبار المسؤولين فيها. كانت لافتة اجتماعاته بشخصيات بارزة في الكونغرس، بمن في ذلك الديمقراطية نانسي بيلوزي رئيسة مجلس النواب التي تكره ترامب... وترامب يكرهها.

معنى ذلك أن لدى رئيس الوزراء العراقي وعيا لما هي الولايات المتّحدة وكيف تعمل واشنطن من داخل. الإدارة مهمّة، من البيت الأبيض، إلى مجلس الأمن القومي، إلى وزارتي الخارجية والدفاع... إلى الأجهزة الأمنية مثل وكالة الاستخبارات المركزية (سي. آي.أي). لكن ما لا يمكن تجاهله هو موقع الكونغرس بمجلسيه. يمتلك الكونغرس دورا على صعيد تحديد السياسة الأميركية وتسهيل مهمة الرئيس ووزرائه ومساعديه أو عرقلة ذلك. لهذا السبب، نجد أن إسرائيل تركّز على نفوذها في الكونغرس بمقدار ما تركز على البيت الأبيض والـ"سي.آي.أي" وربّما أكثر من ذلك.

الأكيد أنّ مهمّة مصطفى الكاظمي لم تكن سهلة، على الرغم ممّا يبدو أنّه تحضير جيّد لزيارته لواشنطن. كشفت الزيارة أنّ على الكاظمي القتال على غير جبهة، خصوصا الجبهة الداخلية في العراق. أعادته الزيارة إلى المربّع الأوّل وذلك بغض النظر عن الاتفاقات التي توصّل إليها الوفد العراقي مع الأميركيين. ترتدي هذه الاتفاقات أهمية خاصة نظرا إلى أنّها لا تقتصر على الوجود العسكري الأميركي في العراق مستقبلا، بل تشمل مجالات أخرى، بما في ذلك الاستثمارات الأميركية في حقول النفط والغاز العراقية والتعليم. لا مستقبل للعراق وللعراقيين من دون العودة إلى رفع مستوى التعليم والاستعانة بالخبرات الأميركية والأوروبية بعيدا كلّ البعد عن كلّ ما تحاول فرضه إيران على العراق من أجل إنتاج أجيال جديدة من أشباه المتعلّمين، حتّى لا نقول أشباه الأمّيين، الذين تسيّرهم الغرائز المذهبية.

هل يمكن استعادة العراق كدولة ذات سيادة قادرة على لعب دور إيجابي في المنطقة بدل أن تكون مجرّد مستعمرة إيرانية؟ طرح هذا السؤال نفسه مجددا، قبل زيارة مصطفى الكاظمي لواشنطن وبعدها وفي أثنائها، خصوصا في أثنائها.

كان لافتا تلك الجرائم التي ارتكبت في العراق بُعيد توجّه رئيس الوزراء إلى واشنطن. كانت تلك الجرائم رسائل إيرانية إلى مصطفى الكاظمي الذي لم يتمكن سابقا من حماية هشام الهاشمي في بغداد في مطلع تموز – يوليو الماضي، ولم يتمكن قبل بضعة أيّام من حماية الدكتورة رهام يعقوب في البصرة. قتل الهاشمي، وهو أحد القريبين منه بدم بارد في بغداد. واغتيلت الدكتورة رهام بالطريقة ذاتها في البصرة، فيما كانت مع أربع صديقات لها قضت إحداهنّ.

ليس أكيدا أن الإجراءات التي يتخذها رئيس الوزراء العراقي ناجعة على الرغم من كلّ النيّات الحسنة التي يظهرها والشجاعة الكبيرة التي تدفع به إلى النزول إلى الشارع ليرى بنفسه ما يدور على ارض الواقع.

فبعد انتهاء زيارته لواشنطن، توجّه مصطفى الكاظمي إلى بغداد ومنها مباشرة إلى البصرة التي شهدت اضطرابات شملت إحراق مقرّ مجلس النوّاب فيها. كان غضب أهل البصرة كبيرا إلى درجة لم يوفروا مقرا لحزب موال لإيران إلّا وهدموه. شمل ذلك حزب الدعوة، المجلس الأعلى، منظمة بدر، حزب الفضيلة، الخراساني، العصباء، النجباء، حزب الله، أنصار الله الأوفياء.

> **من انتصر على العراق هو أميركا التي اجتاحت البلد ووصلت إلى بغداد وقلبت نظام الحكم وسلّمت العراق على صحن من فضّة إلى شريكها في الحرب «الجمهورية الإسلامية» في إيران**

وفي الناصرية، التي انتفضت بدورها، حصل الشيء نفسه. أكثر من ذلك كانت الهتافات المعادية لنوري المالكي وقيس الخزعلي وهادي العامري واضحة كلّ الوضوح وبالاسم.

كان أفضل ردّ على الجرائم التي ارتكبت في العراق، ردّ الشعب العراقي نفسه. بات هذا الشعب يعرف تماما أنّ المطلوب إيرانيا إفشال رئيس الوزراء الحالي، على الرغم من أنّه ليس معاديا لـ"الجمهورية الإسلامية"، لكنّه يرفض أن يكون تابعا لها. يبدو واضحا أن إيران ترفض أن يكون في العراق رئيس للوزراء يمتلك هامشا للمناورة. لا يمكن أن تقبل التعاطي مع العراق تعاطي الندّ للندّ. تجهل أن لا مصلحة لها في معاداة العراق والعراقيين والسعي إلى إخضاعهم. لم تربح إيران حربها مع العراق بين 1980 و1988، على العكس من ذلك، هناك نوع من الانتصار العراقي تحقّق في تلك الحرب التي قاتل فيها معظم الشيعة العراقيين إيران، خصوصا بعدما سعت إلى دخول الأراضي العراقية من جهة الجنوب تحديدا.

سعى مصطفى الكاظمي في واشنطن إلى التأسيس لوضع قانوني يحدد في إطاره مستقبل العلاقات الأميركية – العراقية. يشمل ذلك إعادة انتشار للقوات الأميركية في العراق مع جدول زمني محدّد. من الواضح أنّه ينطلق من مصلحة العراق والعراقيين أوّلا. ما تنساه إيران في كلّ وقت أنها لم تحقّق انتصارا على العراق. من انتصر على العراق هو أميركا التي اجتاحت البلد بجيوشها ووصلت إلى بغداد في التاسع من نيسان – أبريل 2003 وقلبت نظام الحكم... وسلّمت العراق على صحن من فضّة إلى شريكها في الحرب، أي إلى "الجمهورية الإسلامية" في إيران.

في السنة 2020، تتجاهل إيران البديهيات. تتجاهل أوّلا أن زعماء الميليشيات المذهبية الموالين لها عادوا إلى بغداد على ظهر دبّابة أميركية. تتجاهل ثانيا أنّها مرفوضة من العراقيين وأن أهمّ دليل على ذلك إحراق العراقيين القنصلية الإيرانية في النجف ثلاث مرات. تتجاهل أخيرا أنها لم تستطع فرض مرشّحها ليكون رئيسا للوزراء في العراق. تتجاهل أنّ قاسم سليماني قتل وأن الأميركيين قتلوه في العراق وأنها لم تستطع الردّ على الأميركيين. كلّ ما تستطيعه هو الردّ على العراقيين عن طريق ميليشياتها الموجودة في كلّ مكان، من بغداد... إلى البصرة.

عاد مصطفى الكاظمي من واشنطن إلى البصرة... بعد توقف قصير في بغداد. عاد عمليا إلى حقل الألغام العراقي. هناك مشكلة كبيرة مع إيران، وهناك مشكلة أخرى مع تركيا، وهناك وضع داخلي معقّد إلى أبعد الحدود. ما قد يخدم رئيس الوزراء العراقي أمران. أولهما أن إيران ليست بالقوة التي تعتقد بعدما تبيّن أنّها ليست سوى نمر من ورق، لكنّها تستطيع فقط استخدام الميليشيات المذهبية التابعة لها استخداما جيّدا. أمّا الأمر الآخر، فهو أن مصطفى الكاظمي يختلف بعض الشيء عن أسلافه نظرا إلى أنّه من دون عقد، في ما يبدو. الدليل على ذلك قوله لصحيفة "واشنطن بوست" إنّ "ليس هناك ما يدعو إلى الحرج في ما يخص العلاقة بالولايات المتحدة. إنّه أمر يدعو إلى الشعور بالفخر"... أين العيب عندما لا يشعر الإنسان الطبيعي بالحياء بسبب العلاقة القائمة مع أميركا؟

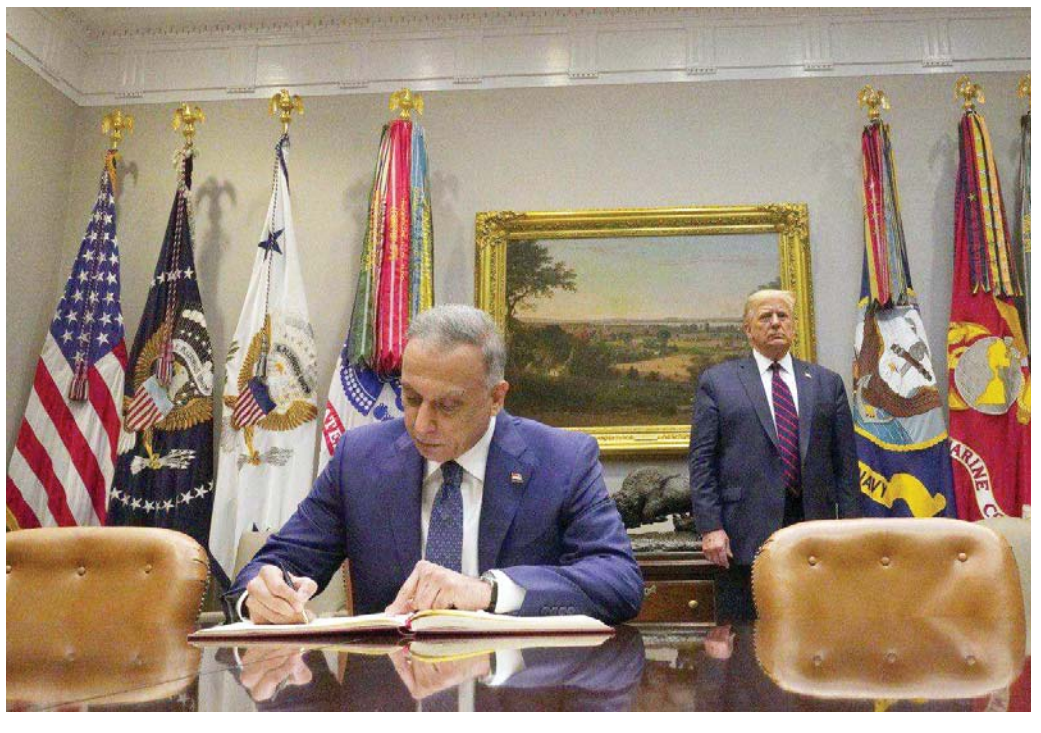

ليبيا في انتظار الفعل لا البيانات

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

البيانان الصادران عن رئيس مجلس النواب والمجلس الرئاسي الليبيين يبقيان رغم كل الصدى الواسع الذي أحدثاه، مجرد إعلان نوايا غير متطابقة في جوانب مهمة منها، بينما لا يمكن التعويل إلا على اتفاق رسمي معتمد وموقع من الفرقاء وبحضور الفاعلين الإقليميين والدوليين، الذين يوفرون ضمانة احترامه وتنفيذه على أرض الواقع، وفي مقدمتهم ممثلو الولايات المتحدة والأمم المتحدة.

جاء البيانان في ظل معطيات عدّة من بينها، أولا: حرب الإطاحة بفايز السراج من قبل المقربين منه، وخاصة المنحدرين من مدينة مصراتة والمستقوين بميليشياتها، والذين دعوا منذ أيام إلى التظاهر ضدّه، متهمين إياه بالتورط في الفساد والوقوف وراء الفشل الذريع لدواليب المؤسسات في طرابلس.

ثانيا: استمرار تدفق المرتزقة على غرب البلاد بتمويل قطري واستقطاب وتجنيد وتدريب من تركيا، وتحت أنظار العالم وخاصة الولايات المتحدة، التي يرى رئيسها دونالد ترامب أن الدفع بآلاف المرتزقة إلى جانب قوات أردوغان وشركاته الأمنية الإخوانية يمكن أن يلجم محاولات التوسع الروسي.

ثالثا: استمرار الوضع على جموده الميداني في منطقة سرت والجفرة، بعد أن حسم الموقف المصري أمر الخط الأحمر وأعلن استعداد قواته للتدخل المباشر لصدّ أيّ محاولة تركية للاقتراب منه، كما تمّ تطويق المنطقة بإمكانيات بشرية وعسكرية غير مسبوقة من قبل قيادة الجيش، بما يعطيها إمكانية سحق جماعات المرتزقة والإرهابيين التابعة للحكومة الخاضعة لإمرة غرفة العمليات التركية في مساحات مفتوحة ليست بها أيّ تضاريس يحتمي وراءها المهاجمون.

رابعا: لا يمكن فصل الوضع في ليبيا عن الوضع في شرق المتوسط، حيث يواجه أردوغان تجمعا استثنائيا لأعدائه المعلنين وخاصة اليونان وقبرص ومصر، بالإضافة إلى الموقف الفرنسي الحاد والتضامن الأوروبي مع أثينا ونيقوسيا، إضافة إلى الموقف الأميركي الذي يسير في الاتجاه ذاته، وهو متأثر في جانب كبير منه بمواقف محور الاعتدال العربي والاتحاد الأوروبي وبضغوط اللوبي اليوناني المؤثر في قرارات واشنطن، دون أن ننسى أو نتجاهل مستجدات التوازنات الإقليمية بعد اتفاقية السلام بين الإمارات العربية المتحدة وإسرائيل، والتي لا يمكن أن تصبّ في مصلحة النظام التركي، علما وأن تل أبيب نفسها جزء من الصراع حول غاز المتوسط، ولا تريد للأطماع التركية أن تقترب منه.

الاتفاق المعلن بين صالح والسراج قد يبقى حبرا على ورق، إذا لم يجد إصرارا أميركيّا على تنفيذه، فأردوغان هو مخلب قط واشنطن حاليا في المنطقة، وراعي مصالحها، والمستعدّ لتقاسم الغنائم معها، وهذه المرة يعدّ الرئيس التركي خطة لوضع يده على ليبيا وخاصة على الوسط والجنوب، وهو لا يريد الخروج منها كما يعتقد البعض، ولن يقبل بذلك.

وعندما زار وزيرا الدفاع التركي والقطري طرابلس مؤخرا، كانت معهما مشاريع عدة لفائدة أنقرة، من بينها قاعدة بحرية في مصراتة، تراها مصر خطرا على أمنها القومي، وتوسيع حضورها في قاعدة الوطية الجوية، والسيطرة على الموانئ البحرية والمطارات، وتشكيل جيش "نظامي" من مسلحي الميليشيات وأبناء القبائل.

وفي ذلك محاولة للغمز من قناة مصر التي قالت إنها مستعدّة لتدريب أبناء القبائل، ولكن القبائل التي تحاول تركيا استقطابها هي قبائل المنطقة الغربية من عرب وأمازيغ، وكذلك المنطقة الجنوبية من تبو وطوارق وعرب، بعد فتح نافذة من الجنوب عبر النيجر التي ارتبطت معها مؤخرا باتفاقية عسكرية، بعض جوانبها بقيت قيد السرية المطلقة.

وقد عرض وزير الدفاع القطري رؤيته في هذا الشأن، وأكد أن بلاده مستعدة لفتح باب الحوار مع القبائل سرا أو علنا والتأثير عليها، خصوصا وأن لها سوابق في مدّ جسور التواصل مع التبو والطوارق والأمازيغ وبعض القبائل العربية، علما أن التعامل معها مرفوض من قبائل أخرى لا تزال موالية للنظام السابق، وتلك تمّ التخطيط لضربها من الداخل عبر بعض الشخصيات التي يتم استدراجها إلى الخارج، والإغداق عليها لتكون في خدمة المشروع الجديد، الذي لا يشترط الولاء للوفاق بقدر ما يعتمد على مبدأ العداء للجيش.

كما أن تركيا وقطر ترفضان من الأساس الطرح الأميركي بجعل سرت عاصمة مؤقتة للبلاد، وهو ما تحدث عنه بيان رئيس البرلمان ولم يذكره بيان السراج، وتريان في ذلك انتصارا للجيش، لكنهما تتبنيان وبقوة إعلان سرت والجفرة منطقة معزولة السلاح، وتعتبرانه انتصارا لحكومة الوفاق، ومدخلا مستقبليا للهجوم على الهلال النفطي وحقول الواحات وغيرها، والسير نحو الشرق.

> **الاتفاق المعلن بين صالح والسراج قد يبقى حبرا على ورق إذا لم يجد إصرارا أميركيّا على تنفيذه فأردوغان هو مخلب قط واشنطن في المنطقة وراعي مصالحها والمستعدّ لتقاسم الغنائم معها**

غير أن الجانب المصري منتبه إلى هذه المسألة، وهو وإن رحب ببياني السراج وصالح، إلا أنه متمسك برفض انسحاب الجيش من الخط الأحمر، وينتظر أن يتبين من الضمانات الدولية التي يمكن أن تجعله يوافق، وعلى رأسها تنفيذ إعلان القاهرة باعتباره امتدادا لمخرجات برلين، بما يعنيه من تشكيل مجلس رئاسي جديد وحكومة وحدة وطنية، والبدء في حل الميليشيات وجمع السلاح، وقبل كل ذلك إخراج القوات التركية والمرتزقة الأجانب من البلاد.

اكتفى القائد العام للجيش المشير خليفة حفتر بالصمت، والمقربون منه يؤكدون أنه يتابع المستجدات عن كثب، ويعرف طبيعة المجريات التي تم التخطيط لها في طرابلس عند زيارة وزيري الدفاع القطري والتركي، كما يعلم أن هناك ألاعيب يمارسها أهل السياسة يجب ألا تمر على العسكريين بسهولة.

الموضوع ليس سهلا إلى درجة إخراج حل له في بيانين منفصلين كانا مردّا وردّ فعل، كما أنه ينتظر اللحظة التي يقع فيها الطرف المقابل في الخطأ وهي واردة جدا، فالسراج رغم أنه رئيس للمجلس الرئاسي إلا أنه معرض للإطاحة به في أيّ وقت، وإن لم تكن الإطاحة بشخصه فبكلمته، فالميليشيات لها حسابات أخرى، وكذلك المخطط التركي القطري قد يتجاوزه إلى غيره، إذا لم ينفذه بحذافيره.

هل سيتجه مجلس النواب والمجلس الرئاسي إلى مؤتمر دولي للتوقيع على اتفاقية جديدة انطلاقا مما ورد في بياني السراج وصالح؟ هذا الأمر قد يكون بداية الحل في حال التوصل إليه، والاتفاق على تنفيذه برعاية واشنطن والأمم المتحدة، والتنصيص عليه في مجلس الأمن، وإرفاقه بملحق قانوني إلزامي لملاحقة من يتعمد خرقه أمام القضاء الدولي، وأن يكون أول بنوده إخراج القوات التركية والمرتزقة وحل الميليشيات، وكذلك تشكيل منظومة عمل سياسي جديدة من خارج الصف الحالي الذي لا ضمان لبقائه إلا بالاستمرار في الأزمة.